**أولاً : فرنسا من الثورة حتى تتويج نابليون بونابرت 1789- 1804 :**

**الثورة الفرنسية عام 1789 :**

يلزم, بادئ ذي بدء, ان نقتفي, هذا الحدث الهام بطريقة اكاديمية, من خلال تتبع جذورها ومعرفة اهم اسبابها ودراسة احداثها, وفهم نتائجها, وعلى تلك الاسس, يكون موضوع الثورة الفرنسية كياناً واحد يكمل الواحد الأخر, ولكي نرفع الستار عن سؤال, شكل في استفهامه جوهر الثورة الفرنسية, ألا وهو أهم الاسباب التي جعلت فرنسا تتقدم عن غيرها من الدول الاوروبية في اعلان ثورتها اواخر القرن الثامن عشر؟ لذلك, يجب علينا ان نعرف الاوضاع العامة في فرنسا على كافة الصعد, قبيل اندلاع الثورة وربما كان من أهمها ما يلي :

**أ‌- نظرية حق الملوك الالهي و ما رافقها من فساد النظام اداري :**

ارتقى عرش البوربون في فرنسا لويس السادس عشر( 1754 – 1793 / 1774 – 1793) في عام 1774, واستند في حكمه على ركيزة حق الملوك الالهي, القاضية بأن الملوك يستمدون سلطتهم من الله, وبذلك, كان الملك يتمتع بصلاحيات مطلقة في موارد البلاد, واعلان الحرب وقيادة الجيش, ومصادرة الاملاك الخاصة, وزيادة الضرائب, وغيرها من الامور الاخرى, ومن هنا, كان الملك حسب مقتضيات هذه النظرية, يعد نفسه المصدر الاساس لكل القوانين والتشريعات, فهو المرجع الوحيد في الدولة وكلمته يجب ان تكون نافذه, وطاعته واجبه. ولا نجانب الحقيقة اذا قلنا, ان الملك لويس السادس عشر كان متحلياً في بعض الفضائل الشخصية, ولديه المساعي الحقيقية للإصلاح, فاتجهت إليه الانظار لإصلاح ما يمكن اصلاحه من تدهور ملحوظ في الجانب السياسي والاقتصادي, غير ان ضعف ارادته, وفقدانه لشخصية رجل الدولة المقتدر على مواجهة التحديات الكبيرة, جعله اداة لأهواء زوجته الاميرة ماري انطوانيت, ابنة امبراطورة النمسا ماريا تريزا، التي كانت أصلب عودا واكثر طموحا, من زوجها, حديدية الارادة, وافرة الذكاء, لكنها رغم ذلك, لم تكن محبوبة من الشعب الفرنسي, على اعتبارها غريبة, وحياتها اليومية قائمة على البذخ والاسراف, ومنعزلة عن عامة الناس في قصر فرساي الذي يبعد عن العاصمة باريس نحو 15 كيلو متر, وتطل من نوافذه على الحدائق المنسقة ببراعة, والابنية المشيدة بأبداع, وهي بذلك غير قادره على فهم واستيعاب عادات واحتياجات الشعب.

ولعل أهم ما يقترن من سوء الحالة السياسية في فرنسا, هو سوء النظام الاداري الذي كان على درجة كبيرة من التخلف والرجعية, يعكس بوضوح ملامح النظام الاقطاعي القديم في العصور الوسطى, بمعنى اخر, كان وكيل الملك في الدوائر الادارية يتمتع بسلطة استبدادية واسعة مستمدة من الحاكم الاعلى(الملك), ويمكن تفسير ذلك في اختلاف الضرائب والقوانين وحتى وحدة القياس بين مقاطعة واخرى, فلو اخذنا مثلاً سكان جنوب فرنسا كانوا خاضعين لمواد القانون الروماني, بينما كان سكان الشمال تحكمهم العادات والمورث الاجتماعي.

**ب‌- نظام الطبقات الاجتماعي** :

ويبدو, ان أكثر ما يسيء لفرنسا أنها احتفظت بنظام الطبقات الاجتماعية وما يعتريه من امتيازات استثنائية على حساب السواد الاعظم من الشعب الفرنسي, فالمجتمع الفرنسي كان مقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية تفصل بينهما حدود من الصعب تخطيها وأهمها :

1) **طبقة الملك والنبلاء :** وهم اعلى مراتب المجتمع الفرنسي, يمكن ان يقدر عددهم نحو 350,000 شخص من أصل 25 مليون نسمة, أي ما يعادل 1,5 % من الشعب الفرنسي وتستحوذ هذه الطبقة على ما يقارب 20 % من الاراضي, ويستأثرون بأرفع المناصب, ويعفى معظمهم من الضرائب, ولهم حقوق وامتيازات واسعة تتعدى بعضها على حقوق الاخرين مثل حق الصيد في حقول الاهالي, وحق القضاء بين الفلاحين, وباتت امتيازاتهم في اواخر القرن التاسع عشر عبئا ثقيلا على الشعب الفرنسي.

2) **طبقة رجال الكنيسة (الاكليروس) :** وهذه الطبقة لا تقل شأنا في امتيازاتها عن طبقة النبلاء, وقد تشكل هذه الطبقة ما يناهز 120,000 شخص أي نحو 0,5 % من الشعب الفرنسي, وثروتهم تقدر بـ 20 % من اراضي فرنسا تقريباً, ولهم إلى جانب ذلك مورد هام يسمى ضريبة العشر تجمعها سنويا من الشعب الفرنسي, قدرت اواخر القرن التاسع عشر نحو 200 مليون فرنك من الذهب, وبدلاً من أن تنفق هذه الاموال او جزء منها, في مساعدة فقراء الشعب كما كان الغرض المقصود من جمعها, ومما يسترعي الانتباه, ان ما يشكل 2% من سكان فرنسا اواخر القرن التاسع عشر يستحوذن على ثلث الاراضي الفرنسية .

3)**عامة الشعب :** ينتظم في هذه الطبقة عامة الشعب الفرنسي, من مفكرين ومتعلمين ومعظم رجال المؤسسة العسكرية من الجند, فضلا عن الفلاحين, وقد تحملوا هؤلاء اعباء ضرائب الدولة, مثل ضريبة العقار الثابت Taille وبمعيار تصاعدي حسب حاجة الدولة, لا يقابل ذلك إلا حقوق ضئيلة, فهذه الطبقة محرومة من حق المساواة امام القانون, وحق اختيار النظام السياسي, وتفردت فئة قليلة من هذه الطبقة بوضع مالي ممتاز ودوراً مهماً في شؤون البلاد الاقتصادية, اطلق عليهم اسم البرجوازية, واتسع تأثيرهم من الجانب الاقتصادي إلى الجانب الفكري بعد ان كان منهم فلاسفة وعلماء وكَتاب, أسهموا بشكل كبير في تنوير الشعب الفرنسي وتدارك مظلوميته ومعرفة حقوقه .

ت‌-**الحركة الفكرية :** اتسعت الهوة بين النظام الاقطاعي والبرجوازية, التي بدأت تنتقد دعائم النظام الاقطاعي القائم على الحكم المطلق, والامتيازات, وعدم المساواة في الحقوق, وغيرها من الامور الاخرى, لقد اثرت الافكار البرجوازية على ذهنية الفرد الفرنسي, وانمت روح النقد فيه, وهكذا فان الحركة الفكرية في فرنسا قبيل الثورة, لم تكن موحدة يسودها الانسجام, بل كانت تنطوي على عناصر فكرية فلسفية وسياسية واقتصادية, مثل فرانسوا كيسناي (1694 – 1774) وهو أهم من يمثل الفكر الاقتصادي الفرنسي اواخر القرن الثامن عشر, ودعا إلى القليل من الضرائب والكثير من الحرية حتى تستقيم امور البلاد وتكون على منهج صالح وطيد.

اما أهم من خاض في الفكر السياسي مونتيسكيو (1689 – 1755) في كتابه روح القوانين الذي جمع فيه تاريخ أنظمة الحكومات وانواعها, وضمن فيه نظريته الشهيرة الفصل بين السلطات ( التشريعية, التنفيذية, القضائية) ومراقبة بعضها البعض, ونصح باشتراك البرجوازية في حكم البلاد متأثرا في نظام الحكم الانكليزي, معتبراً اياه ارقى انظمة الحكم في ذلك الوقت, اما روسو ( 1712 – 1778) فقد تجلت افكاره التجديدية العميقة في كتابه العقد الاجتماعي 1762 معبراً فيه ان الانسان خلق حراً ومتساويا في الحقوق, ولضمان هذه الحرية والمساواة اقيمت الحكومات مستمدة السلطة من الشعب, فاذا أساءت الحكومة هذه السلطة واخلت بحقوق الشعب وجب عزلها, ولقد كان لهذا الكتاب تأثير كبير في مشاعر الفرنسيين حتى لقب بحق " انجيل الثورة" لما امتاز به من قوة العبارة وسلاستها, ورشاقة الاسلوب, ومتانة الحجة, كما وحمل لواء الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر فولتير (1694 – 1778) وتناول الملكية في فرنسا وما يتصل بها من الانظمة بالتهكم والسخرية, وكان يدعو إلى الحكم الملكي المقيد, وطالب بالمساواة امام القانون والغاء الامتيازات, وكان يقول : **" ان الحرية في الرجل صحة للنفس"** ودعا في مؤلفاته مثل القاموس الفلسفي 1764 و تجربة حول طبائع ونفسيات الشعوب 1756, وغيرهما من المؤلفات بضرورة وجود حكومة قوية مستنيرة خاضعة للقوانين تعمل لصالح الشعب, وتحترم حريته وحقوقه وتوقع حدوث الثورة في فرنسا منذ عام 1764, وانتشرت هذه الآراء في بادئ الامر بين الطبقات المستنيرة انتشارا عظيما, ولما اشتدت الازمة المالية وازداد تعثر الحكومة الفرنسية في سياستها الخارجية, انتشرت هذه الافكار بين مختلف طبقات المجتمع الفرنسي, سيما حين تولى دنيس ديدرو ( 1713 – 1784) جمعها في الانسكلوبيديا عام 1851, بمثابة قاموس جامع لمجهودات الفكر الانساني, وقد اشترك في هذا العمل معظم كتاب فرنسا البارزين واطلق عليهم أسم الانسكلوبيدين أي الموسوعيون.

وظهرت في هذه المرحلة ايضا, فئة من المفكرين كانت تعتقد ان الملكية الخاصة والتفاوت في الثروة والمنافسة الحرة هي القوانين الحقيقية للمجتمع وأن اي تدخل للدولة في الحياة الاقتصادية يعد خرقا للقانون واطلق عليهم اسم " الفيزيوقراطيون" وكان ميرابو خطيب الثورة الفرنسية من مشاهيرهم .

**الازمة المالية والاقتصادية وقيام الثورة الفرنسية :**